

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. من الممكن أنك اختبرت في يوم ما العطش، وعندما رأيت الماء أسرعته بلهفة نحوه لكي تروي غليلك. وكلنا نعلم مدى حاجة الأرض للماء لسقي المزروعات ونمو النباتات. ويعتبر الماء من المصادر الأساسية للحياة على الأرض، إذ بدونها لا وجود للحياة.

وفي حلقة اليوم سنتحدث عن لقاء هام حصل بين المخلص يسوع المسيح وإحدى النساء، كان محور الحديث بينهما عن الماء. وهذا ما دونه لنا الوحي المقدس في الإنجيل بحسب بشارة يوحنا عن هذا اللقاء.

"فأتى يسوع إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التي وهبها يعقوب ليوסף ابنه. وكانت هناك بئر يعقوب. فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر. وكان نحو الساعة السادسة. فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء. فقال لها يسوع: أعطيني لأشرب. لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة لبيئاعوا طعاماً. فقالت له المرأة السامرية كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية. لأن اليهود لا يعاملون السامريين. أجاب يسوع وقال لها: لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت منه فأعطاك ماء حياً. قالت له المرأة يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي. ألعك أعظم من أبينا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيهم؟ أجاب يسوع وقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية. قالت له المرأة يا سيد أعطني من هذا الماء لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي." (يوحنا ٤: ٥-١٥)

نتوقف هنا مستمعي العزيز، على أن نتابع بقية الحوار في لقاء الأسبوع المقبل. وفي البداية لابد أن نشير أن السامريين هم شعب خليط من اليهود والأشوريين. وكانوا يسكنون في ما يعرف اليوم بمنطقة نابلس في فلسطين. وكانت عبادتهم مزيجاً ما بين اليهودية والوثنية. وكان العداء مستحكماً بين اليهود والسامريين.

كما سمعنا من قراءة الإنجيل، فقد وصل المسيح أثناء سفره إلى بلدة سوخار في منطقة السامرة. وكان تعباً جداً، فجلس عند بئر يعقوب الذي كان موجوداً هناك. وكانت الساعة نحو السادسة، أي الثانية عشرة ظهراً بتوقيتنا نحن اليوم. وإذا بامرأة سامرية أتت لتستقي ماء من البئر، وكانت لوحدها وليست مع مجموعة من النساء حسب عادة تلك الأيام. لكن المسيح فاجأ هذه المرأة بأن طلب منها ماء ليشرب، لأن تلاميذه كانوا قد ذهبوا لبيئاعوا طعاماً. فاستغربت المرأة السامرية سؤاله وقالت له: كيف تطلب مني لتشرب

وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟ إن مبادرة المسيح بالحديث مع المرأة السامرية يؤكد لنا، أنه لا يوجد لدى المسيح أية تفرقة بين شعب وآخر، وأن خلاصه مقدم لجميع الشعوب. وهنا فاجأ المسيح المرأة السامرية مرة أخرى إذ قال لها: لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا. لكن ماذا قصد المسيح بالماء الحي؟ وهل أدركت المرأة السامرية مغزى كلامه؟

صديقي المستمع، إجابة عن السؤال ماذا قصد المسيح بالماء الحي نقول: لقد كان المسيح يقصد بالماء الحي خلاصه العجيب المقدم للإنسان، أي الخلاص من عبودية الخطية وسلطان إبليس. وكان يشير أيضا إلى روح الله القدوس الذي يسكن في قلب كل إنسان يقبل خلاصه. لكن الغريب أن المرأة السامرية ظننت أنه مازال يتكلم عن الماء الطبيعي للشرب والموجود في البئر، إذ تساءلت: يا سيد لا دلو لك والبير عميقة فمن أين لك الماء الحي؟ ألعك أعظم من أبيننا يعقوب الذي أعطانا البئر؟

بالطبع لقد كان المسيح أعظم من يعقوب بكثير، لكن المرأة السامرية كانت تجهل حقيقة شخصيته. فأجابها المسيح موضحا لها حقيقة طبيعة الماء الذي يشير إليه، ومدى أثره على حياة الإنسان الآن، وفي المستقبل الأبدى. فقال لها هذه الآية الذهبية الهامة: " كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية."

" كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا." إن المسيح أشار هنا إلى نوعين من الماء، النوع الأول هو ماء الشرب، الذي نعطش إليه دائما. والنوع الثاني هو ماء العالم بكل ما فيه من شرور ومفاسد وشهوات. إن العالم مليء بالاغراءات التي تحاول أن تجذب الإنسان ورائها. وقد يظن الإنسان أن بإمكانه إرواء عطشه عندما يركض وراء هذه المفاسد والاغراءات، لكنه سرعان ما يكتشف أنها تزيد عطشا وحيرة وقلقا.

أليس هذا هو اختبارنا جميعا يا أعزائي؟ فكلما نحاول إرواء شهواتنا الجسدية، نحس أننا نطلب المزيد منها. وليس هذا فحسب بل لا نحس بالارتواء أو الاكتفاء، بل نشعر بالمزيد من العطش. فالغني يطب المزيد من المال ضانا أن المال هو وسيلته إلى السعادة. وطالب الملذات يركض وراءها، لكن كمن يسعى وراء السراب. هذا هو بالضبط ما قصده المسيح بقوله: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا.

لكن المسيح عرض على المرأة السامرية، وهو يعرض علينا اليوم نوع آخر من الماء، الماء الحي الذي يروي حقا نفوسنا العطشى. وهو خلاصه المجيد الذي يزيل منا كل قلق وحيرة، ويحل مكانهما السلام والراحة. وليس هذا فحسب، بل يجعلنا نشعر

بالارتواء والاكتهاء، ليس لفترة مؤقتة بل إلى الأبد. وبتعبير آخر إن هذا الخلاص المجيد الذي نحصل عليه، وعطية الروح القدس التي نأخذها مضمونان لنا إلى الأبد. وهو تماما ما قصده المسيح عندما قال: "ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية." أي أن المسيح لا يروي عطش نفوسنا فحسب، بل يجعلها تصبح ينبوعا يرويها إلى الأبد.

لكن ماذا كان موقف المرأة السامرية عندما سمعت كلام المسيح الهام هذا؟ مرة أخرى ظنت أن المسيح يقصد ماء الشرب الطبيعي. إذ طلبت منه هذا الماء لكي لا تعطش من ماء الشرب، وتعود إلى البئر لتستقي. أليس هذا ما يحصل مع الكثيرين حتى يومنا هذا؟ فهناك من يسيء فهم كلام المسيح، ويظن أن المسيح يريد أن يسد فقط حاجاته الزمنية. وإن فشل في الحصول عليها يوجه اللوم إلى الله. لكن المسيح يريد أن يروي نفوسنا العطشى من الداخل، بأن يهبنا خلاصه المجيد، ويحل في قلوبنا بروح الله القدس. عندها نختبر أعظم اختبار، وندرك سر السلام الحقيقي، والاطمئنان الداخلي الأكيد.

حقا ما أجمل عطية الله لنا وما أعظمها! فهل تراك يا صديقي تدرك مدى أهميتها وتسعى للحصول عليها؟ أم تبقى تسعى وراء سراب ماء هذا العالم بملذاته وشهوته، لكن من دون جدوى. وهل تعلم أنك برفضك لهذا الماء الحي، الخلاص المجيد، لا تخسر حياتك هنا على الأرض فقط، بل ستخسر أيضا حياتك الأبدية.

فهل تتجاوز بالإيمان صديقي وأنت صديقتي مع عرض المسيح المغري لكما؟ وهكذا ترتويان من الماء الحي. مع العلم أننا سنتابع في لقاء الأسبوع المقبل بقية الحوار الذي جرى بين المخلص المسيح والمرأة السامرية.